جماليّات الأداء باللون في القرآن الكريم

د.نوري كاظم الساعدي*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٩/٣/١٨

تقديم :

أثر القرآن الكريم في الحياة ـ على نحو عامّ ـ وفي الثقافة العربية ـ على نحو خاصّ ـ تأثير بيّناً ، إذ كان أسُّ المعرفةِ ومفتاحها ؛ لأنها ثقافة اتخذت من اللغةِ مرجعاً تؤول اِليه في الأداء والفنّ ، وهذا التأثير آتى أُكُلهُ في كلّ حين وأوان ،وبوصف القرآن الكريم نهجاً مَعرفِيّاً لم يتوافر للبشريةِ نظيرُ له من قبل أومن بعد ؛ لأنّه كتاب الله الذي((لايَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَين يَدَيهِ ولامِن خَلفِهِ تنزيل مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ))[فصلت/٤٢] متفَرّدُ بنَسَقهِ ،ولغته وعطائهِ ، مَكمَنُ الأعجازِ وسرّه ، والمعجزةُ الكبرى للرسولُ الكريم مُحَمَّد ـ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم - ، فهو دليل تصديقهِ الذي عجز الأنس والجنّ عن مجاراته .

وبات فِي حُكمِ المؤكدِ ، أنّ العَرَبَ حالما سَمِعوه بآياتهِ المعجزات ، أدركوا أنّ كنهَهُ يختلف عن كلّ ما يتعاطونه من شعرٍ ونثرٍ ، وإنْ أخَذ ببعضٍ من أساليبهم في الأداء ، ووظفَ معطياتهم الجماليّة التي كانوايعتدّون بها ، فاتساق الكون تمظهر في بنيته ، يآزره التأمّل ، والتجلي والأبداع ، ولا شك في ذلك ، فإنّه لا تنقضي عجائبه .

اِنّ توظيفَ المعطيات الجماليّة في القرآن الكريم،لايتقاطع مع غاية النص القرآني كونه، يسعى نحو لغة الأبلاغ ـ هدف الرسالة ـ التي تتّسم بأنّها لغة قانونية، تتجه لأقرار النظام واتساقه، ولغة الأبلاغ تلك، تآزرها لغة جماليّة ،تسعى للتأثير في المتلقي بالحرف، واللفظة المفردة ، والتركيب ، وغير ذلك من توظيفات تميّز نصوص القرآن الكريم من غيرها.

ولعلّ اللون جديرُ بالدراسة ، أعني الدراسة المأنيّة المتعمقة المتدبرة ، التي تبحث في توظيف اللون في القرآن الكريم ، وآثاره الجمالية ، ودلالته الايحائية المتسقة مع الدلالات الأخرى الفاعلة في النص القرآني ، واستيعاب بعض من كنههِ وأشاراتهِ ، بوصفه مُدركاً بصريّاً ثرياً بالايحاءات، ومن أجل الوصول إلى ذلك السبيل ،اتجه البحث تلقاء مفهوم اللون في اللغة والاصطلاح ، والألوان الأساسية والألوان الثانوية ، وكيفيّة توظيفها في القرآن الكريم ، وجماليّات الأداءُ بها ، واضعين منهج تحليل المضمون أداة يُركن إليه في هذا البحث الموسوم بـ((جماليّات الأداء باللون في القرآن الكريم)) .

مفهومُ اللونِ في اللغةِ والاصطلاحِ :

وللوقوف على المراد باللون ، نتجه تلقاء مفهومهِ في اللغة والاصطلاح :

-اللونُ في اللغةِ :

حَدّ العربُ مادة (لون) بالسحنةِ ، والهيئةِ ، والنوعِ ، والكيفيّةِ ، فقالوا : اللونُ سحنة الشيء ، وهو هيئة كالسوادِ ، والحُمرةِ ، ويقولون : عندَهُ لون مِن الثيابِ : أي صنف منها ، يعنون بذلك النوع ، أمّا الكيفيّة ، فهي لونُ كلّ شيءٍ يفصِلُ بينه وبين غيره .

واشتـُقت من مفردة (لون) عدد من الألفاظ ، كألوان ، وتلوّن ، ومتلوّن ، ولوّن ، والتلوّين (١) .

-اللونُ في الاصطلاحِ :

---

[*] مركزاحياء التراث العلمي العربي/ قسم وثائق بغداد/ جامعة بغداد.

إنّ اللون في الاصطلاح يومِئ إلى هيئةٍ مرئيةٍ مخصوصةٍ بعينِها ، وهو يُتحصّلُ بالأدراك ، أي اِدراكُ الأفراد له و ((يُعرّفُ اِدراكُ اللون بأنّهُ أي فرقٍ أو اختلافٍ يمكن ملاحظتهُ بين جزأين موجودين في المجال البصري ، لا يُعزى إلى تباينٍ في مكانهما أو زمانهما أو حدتِهما))(٢) فالأفراد يشتركون في الوسائل التي تمكنهم من الادراك

وعندما يُقال : أنّ ذلك المُدرك هو اللون الأبيض ، فقد تحقق اجماع عام في تحديد ذلك اللون ، أمّا الاختلاف فناشيء عن الأثر النفسي للأبيض أو غيره ،ذلك أنّ ((تفضيل ألوان أو مركبات ألوان ، يتوقف على حد كبير على التركيب الذي تُدركُ فيه ، مع صفات أخرى كالتشبّع والتضاد ، والحجم والاضاءة...))(٣) وتلك الصفات تُظهر درجات اللون.

ويمكن تقسيم الألوان على قسمين- بحسب نظام الإدراك الحسي البشري،وفسيولجية رؤيةالألوان،والنظريات العالميّة التي التفت الى ترتيب الألوان في اللغات-:

الألوان الأساسية : وهي :الأبيض ، والأسود ، والأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والبني، والأرجواني، والوردي، البرتقالي، والرمادي .

والألوان الثانوية : وهي الألوان التي تبدو في الألفاظ التي تشير إلى دلالة لونية مُشتقة من الألوان الأساسية ، أو أنها تشير إلى دلالة لونية جديدة . (٤)

ومن الجدير بالذكر أنّ ثمة أواصرتجمع بين اللون من جهة ،وعلم الدلالة من جهة أخرى فـ((إنّ لألفاظ اللون أهمية في علم الدلالة ؛ لأنها أحد المجالات القليلة التي يمكن فيها مقارنة نظام لغوي بنظام يمكن تحديده وتحليلة بأسلوبٍ موضوعي)).(٥)

إنّ اللغات تتباين فيما بينها في عدد ألفاظ اللون ، ومع وجود هذا التباين ، فاِنّ اللغة العربية تمتلك رصيداً وافراً من ألفاظ اللون ، وتقسيمها ، مما لا يدعُ الشك في ثراء العربية واتساعها من دون سائر اللغات الأخرى ، فالعرب يوظفون ألفاظاً تصويرية يستطيعون بوساطتها بيان الفروق الجزئية بين الألوان ، وهذا الأمر يشير إلى إحساسٍ مرهف بالألوان ، يسعى إلى الاحاطة بها ، ونقلها الى الملتقي بتفاصيلها وفروقاتها الدقيقة ، أي نقل المدرك البصري إلى مُدرك لغويٍّ على نحو دقيقٍ .

-اللونُ في القرآن الكريم :

ذُكِرت لفظة (لون) في القرآن الكريم بأكثر من صيغة ، من نحو :

لونها ، وألوانكم ، وألوانه ، وألوانها .(٦) وتلك الصِيغ اقترن بعضُ منها بلونٍ معين ،كاللون الأصفر في قولِ الحقّ ـ تبارك وتعالى :ـ [((قَالَ إنّهُ يَقولُ إنّها بَقَرة‘ صَفراءُ فَاقِع‘ لَونُها تسُرّ‘ النَّاظِرينَ))] البقرة/٦٩].

فقد حُدِد اللون في هذهِ الآية الكريمة بالأصفر الفاقِع . وفي بعضٍ من الآيات المباركة جاء لفظُ اللّونِ مطلقا من دون أنْ يُحدد بلونٍ مخصوصٍ بعينهِ ، كقولهِ تعالى : [((واختِلافُ ألسِنَتِكُم وَألوَانِكُم))][الروم /٢٢]

إنّ الألوان الأساسية التي وظفت في القرآن الكريم ، هي :

الأبيض ، والأسود ، والأخضر ، والأصفر ، والأحمر ، والأزرق . وتنوّعت دلالاتها ، فمنِها ما وُظِف للحقيقةِ، ومنها ما وظِف للمجاز ، كذلك فاِنّ أثرها في النفس يختلف من لونِ إلى آخر أو أنّ اللون نفسه، قد يكون محبباً أو بخلاف ذلك بحسب اقترانه بالأشياء ، وعلى هذا يرى بدرالدين بن المظفّر (ت٦٧٥هـ) أنّ النفس ((تبتهجُ بما كان من الأجسام له اللون الأحمر ، والأخضر ، والأصفر ، أما بسيط أو مُركّب بعضها مع بعض ، فَنَظرُ هذهِ يوجب راحة النفس ، ولذّة القلب ، وسرور العقل ، ونشاط الذهن ، وتوفر القوى وانبساط الأرواح...؛ لأنّها ألوان مشرقة تنزه النفس لأشراقِها ونورانيتها.))(٧)

أمّا الألوان الثانوية الموظّفة في القرآن الكريم ،فتشير إلى لون معين ، كلفظة ((مُدهامَتان))، أو مجموعة ألوان كلفظة ((العِهن))، أوأنّها تشير إلى درجة من درجات اللون ، كلفظة ((فاقِع)) . أو لا يُذكر فيها اللون على نحو صريحٍ،بيد أنّه يمكن أنْ يُفهم من السياق

العام للنصّ، وقد أشار أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) الى هذا النهج ، عندما حللّ عدداً من صور التشبيه،مبيناً أنّه قد يُراد مِن ورائِها اللون أوالشكل ، فرأى أنّ قولَ الحقّ - تبارك وتعالى-: ((كَأنَّهُنَّ اليَاقوتُ وَالمرجَانُ))[الرحمن/٥٨] .

قد يُراد به ((تشبيه الشيء بالشيء لوناً وحُسنا)).(٨) فإنّ اللونَ حاضر في النصّ ، ومَظهرمن مظاهرالجَمال، وإنْ لم يُذكر على نحو صريح بلفظٍ من ألفاظ اللون الأساسية ، وهويتفق ((مع قواعد البنية الخطابية المعطاة ذات القواعد البلاغية .)).(٩)

وأولُ لونٍ من الألوان الأساسية التي سيتجه تلقاءهُ البحثُ ، اللون الأبيض :

فإنّه وظِف في أحدَ عشرَ موضعاً في القرآن الكريم ، وجاء بصيغٍ مختلفة ، هي : ((ابَيضّت ، وتبيّض ، والأبْيَض ، وبَيضَاء ، وبيِض)). وكانت الدلالة اللونية حاضرة في تلك الصِيغ ، ففي قولهِ تعالى:((يَومَ تبيَضُّ وُجَوُهُ))[آل عمران/١٠٦] يقترن البياض بالوجوه ليشير إلى حال أهل الجنة، وما أترفوافيه من نعيم ، وبدا واضحاً على نحوجليٍّ في وجوههم ، ليُعزّز برحمةِ الله في الآية المباركة التي، أتت بعدها في قولهِ تعالى : ((وأمَّا الَّذِينَ ابيَضَّت وُجُوهُهُم فَفي رَحمِةِ اللَّه ِهُم فِيهَا خَالِدُونَ)) [آل عمران/١٠٧] .

بيدَ أنّ البياض - هنا - يعني النور ، لأنّ النور في المؤمنين والمؤمنات كان حاضراً في أكثرِ من نصٍّ قرآنيّ كريم ، كقولهِ سبحانه وتعالى : ((يَومَ تَرى الُمؤمِنينَ والُمؤمِناتِ يَسعَى نُورُهم بَينَ أيدِيهم)) [الحديد/١٢].

وقوله تعالى: ((نُورُهم يَسعَى بَينَ أيدِيهم وبِأيمَانهم))[التحريم/٨] .

وقولهِ تعالى :((والَّذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورُسلِهِ أوُلئِكَ هُم الصِّدّيقُون والشُّهَداءُ عِندَ رَبِّهم لَهُم أجرُهُم ونُورُهُم والَّذِينَ كَفرُوا وكَذبُوا بِآيتِنا أولئِكَ أصحُابُ الجَحِيم)) [الحديد/١٩].

ويشير الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إلى علاقة الضياء والنور بالأبيض بقوله : ((ولكلّ ضياءٍ بياض ونور ، وليس لكلِّ بياضٍ نور وضياء)).(١٠) أمّا الدراسات الحديثة فترى أنّ ثمة علاقة بين اللون والضوء ، إذ إنّ إدراك اللون لا يتمّ بمعزلٍ عن الضوء ، وأنّ الضوءَ عند تحليله، تظهرُالألوان : الأحمر ، والبرتقالي ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، والنيلي ، والبنفسجي .

وهذهِ المجموعة من الألوان تسمّى مجموعة الطيف الشمسي ، وبصيغةٍ أخرى ، فإنّ تحليل الضوءِ الأبيضِ ينتج عنهُ الألوان السبعة الآنف ذكرها ، فهو أصل الألوان ، وعندما يتمُّ حجب الضوء عن الأشياء ، فإنّها لا تُرى ، ويظهرحينئذٍ الأسود ، مِن أجل ذلك ، لا يمكن رؤية الألوان من دون وجود الضوء .(١١)

وعلى وفق ماتقدّم ، يمكن القول بوجود عَلاقة بين (البياض) في وجوه المؤمنين ، من جهة، والضوء الذي يُعَدُّ أصلَ الألوان ،من جهة أخرى، فالإنسان عندما يولد يكون على الفطرة ، وهي الأصلُ ، بعد ذلك تتفرع عنه معتقداته ، وإيمانه ، كذلك الحال مع الضوء (الأبيض) الذي تتفرغ عنه سائر الألوان الأخرى .

وتلك المقارنة قد أنُجزت بوساطة التأويل ؛ لأنّ ((مهمة التأويل تتجسد في الكشف عن علاقة الغياب بالحضور من جهة ، وفي إدراك ما يصل بين أطراف الثنائيات وما يفصل بينها من جهةٍ أخرى .))(١٢) وعلى هذا اقترن البياض بالوجوه ؛ لأنّه أصلُ ، فاتفق الأصلان : أصل البياض، وأصل المعتقد (الفطرة) ، ولعلّ الذي يعزز تلك الصلة قول الحق - عزّ وجل -: ((صِبغَةَ َاللّهِ َوَمن أحسَنُ مِن َاللّهِ صِبغَةَ وَنحَنُ لَهُ عَابِدُونَ)) [البقرة /١٣٨].

فثمة علاقة بين الصِبْغة (اللون) والفِطرة في الآية الكَريمة ، فالصِبْغة التي صبغَ الله الناس بها ، هي الفِطرة ، بحسب ما يرى عدد من علماء التفسير.(١٣)

وصورة البياض المشرقة تلك ، نجد لها أثراَجماليّاَ، عندما تمسي وصفاً لكأس المَعِين في الجنّة(١٤)، وتوظفُ حاستا البصر والذوق في إدراكها ،وهذا يظهر في قولِ الحقّ تبارك و تعالى: ((يُطَافُ عَلَيهم بِكَأسٍ مِّن مَّعِين بَيضَاءَ لَذَّةٍ لّلشَّارِبينَ)) [الصافات ٤٥-٤٦] . فيلاحظ أنّ الصورة متحركة عن طريق الفعل (يُطاف) ، وهذا الفعل المتّسم بالحركة ، يُعزز

بصورة جماليّة بصريّة بوساطة اللون البيض ، الذي يعدُّ عنصراًمن عناصر التشكيل ،وفضاءً من فضاءات الصورة، وهو صفة للكأس الذي يُدرك بحاسة أخرى ، هي الذوق ، ويظهر في قولهِ تعالى : ((لذّةٍ للشَاربين)) . والأداء في هذهِ الصورة يعتدّ بالثابت والمتغيّر ، فالثابت كان في اللون الأبيض في قولهِ تعالى : ((بَيضَاء)) ، أمّا المتغيّر فكان في الفعل في قولهِ تعالى : ((يُطافُ)). بيد أنّ الأداء بالأبيض، يمسي متغيّراً عندما ،يأتي بصيغةٍ فعليّةٍ في قولهِ تعالى : ((وَابيَضَّت عَينَاهُ مِنَ الحُزنِ فَهُوَ كظِيم)) [يوسف ٨٤].

فالفعل (ابيضّ) يشير إلى ذهاب نور عيني نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ حُزناً على ابنه نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ وهذا المتغيّر في اللون الأبيض ،الذي أدي بصيغة فعليّة ((ابيَضّت)) وليس بصيغة أخرى، كأن تكون (بيضاء) التي تشير الى أنّ حالة فقدان البصر تأبيدية ؛ولكنّ الأداء جاء بالصيغة الفعليّة ((ابيضّت)) ؛ لأنّ يعقوب ـ عليه السلام ـ سيبصر فيما بعد ، وهذا مصداق قولهِ تعالى : ((فَلمَّا أنْ جَاءَ البَشِيرُ ألقَاهُ عَلى وجهِهِ فَارتَدَّ بَصِيراً)) [يوسف /٩٦] .

من هنا جاء الأداء بالأبيض بصيغة الفعل ((ابَيضّت)) فالأفعال في العربية من سماتها الدلالة على الحدث، وهومتغيّر ،في حين أنّ الأسماء وعدد من الصفات تدلُّ على الثبات أي ينتفي عنها سمة التغيير ، وهذا دأبُ القرآن الكريم في دقة توظيفاته ((فثمة تبادل مستمر ينشأُ فيه بين البنية من جهه ، والحدث من جهةٍ أخرى)).(١٥) من أجل ذلك جاء توظيف اللون بصيغته الفعليّة ((ابيضّت)).لِتُمَهدَ السبيل للمتلقي المُتدبر في أنْ يَعقدصلة بين تلك البنية، الحدث ((فَارتَدَ بَصِيراً)).

وإذا كان البياض أو الضوء- فيما تقدم- قد اختصّ بعطاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمؤمنين في اليوم الآخر ، فإنّ الأداء به كان حاضراً في الحياة الدنيا ، عندما أمسى أداة من أدوات المعجزة التي كانت حاضرةً عند نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ فظهرت يدُهُ بيضاء في خمس آياتٍ بيّنات في قولِ الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

١) ((وَنَزَعَ يَدَهُ فإذا هِيَ بَيضَاءُ للنَّاظِرينَ))[الأعراف/١٠٨]، [الشعراء/٣٣].

٢) ((وَاضمُم يَدَ كَ إلى جَنَاحِكَ تخَرُج بَيضَاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى)) [طه/٢٢] .

٣) ((وَأَدخِلْ يَدَ كَ في جَيبِك تخَرُج بيَضَاءَ مِن غَيرِ سُوء ٍفِي تِسعِ آياتٍ إلى فِرعَونَ وَ قَومِهِ)) [النمل/١٢].

٤) ((اسلُك يَدَ كَ في جَيبِكَ تخْرُج بَيضَاءَ مِن غَيرِ سُو ءٍ))[القصص/٣٢].

إنّ مضمون الآيات الكريمة ،يشير إلى أمرين رئيسين ، هما :

الأمر الأول :أنّ يدَ نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ ((بَيضَاءُ للنَّاظرين))، ومعنى ((للنَّاظرين)) أنّ بياضها مما يقصده الناظرون ، لأعجوبته ،وكان لون جلد موسى ـ عليه السلام ـ شديد السمرة، فأمست بيضاء تلمع ، وارتباطه باليد ، صيّره دليلاً من دلائل النبوة.(١٦)

أمّا الأمر الآخر : فكانت يدهُ ((بيضاءُمِن غيرِ سُوءٍ)) أي أن بياضها كان واضحا للعيان مخالفاً للون جلدهِ على نحو بعيدٍ عن لون البرص (١٧) ، فبياضُ يدهِ بياض صحةٍ لا بياض داء . وهذا يتفق مع الأداء العام للأبيض بوصفهِ ((رمز الطهارةِ والنور والغِبطة والفرح والسرور)) (١٨) . وإذا كانت تلك المعجزة زمنية متغيِّرة ؛ لأنها مرتبطة بمدة حياة نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ، ولأنّ الأزمنة متغيِّرة بوصفها تدلّ على الحدث ، فإنّ الأداء بالأبيض صيّر منها ثابتة ، أي قطعية الثبوت ، فهي ثابتة بالأبيض ضمن المتغيّر الزمان ، أي أنّ يده أمست بيضاء كالمصباح للدلالة على قطعية المعجزة، وثبوتها الذي استمد بقاءَهُ -أيضاً- في أثناء معجزة الرسول الكريم محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ وهي القرآن الكريم .

إنّ الأداءَ بالأبيض وصِيغِهِ في القرآن الكريم ، ميّزه من غيره من ألوان فـ ((إنّ جنسه خلاف أجناس الألوان ، وجوهره خلاف جواهرها))(١٩) ،وعلى هذا ، فهو أحد طرفي التضاد

، فكــان صفة في قولهِ تعالى : ((وكُلوا وَاشرَبـُوا حتَّى يَتَبـيّـَنَ لَكُمُ الخَيطُ الأبيَضُ مِن الخَيطِ الأسوَ دِ مِنَ الفَجرِ)) البقرة/١٨٧] .
وعنصراً من عناصر التضاد ، فـ ((البياضُ ضدُّ السواد))^(٢٠)، وَهو في الآية الكريمة صفة للخيط ، وتلك دلالة مجازية ، وليست حقيقية يشير إلى أول ما يبدو من الفجر ((الخيط الأبيض)) ليمتدّ إلى سواد الليل وظلمته^(٢١) ((الخيط الأسود)).

إنّ هذهِ الصورة التي اعتمدت على التضادّ اللوني بين ((الأبيض ،والأسود)) تظهر في قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ: ((يَومَ تَبيَضُّ وُجُوهُ وَ تَسوَدُّ وُجُوهُ)) [آل عمران /١٠٦].
فإنّ اللونين يُعدّان المفصل الرئيس في تحديد الوجوه ، وما تحظى به من منزلة ، وبحسب المخطط ،وعلى النحو الآتي :

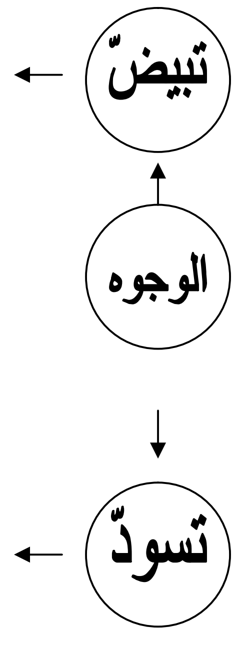

(رحمة) قال تعالى: ((**وَأمَّاالَّذِينَ ابيَضَّت وُجُوهُهُم فَفِي رَحمَةِ اللَّهِ هُم فيهَا خَالِدُونَ**))[آل عمران /١٠٧] .

(عذاب) قال تعالى: ((**فَأمَّا الَّذِينَ اسوَدَّت وُجُوهُهُم أ كفَرتُم بَعدَ إيمَانِكُم فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُم تَكفُرونَ**)) [آل عمران /١٠٦] .

إنّ الأداء بالأسود في القرآن الكريم ،جاء في سبعة مواضع ، بصيغٍ مختلفة،هي: ((تَسوَدّ ، واسوَدّت ، والأسود ، وسُود ، ومسوَدّاً ، ومسودّة)) أربعُ صيغٍ منها، أقترن بالوجوه ، وهي : ((تسوّد ، واسودّت ، ومسودّا ، ومسودّة)) تشير إلى سلب نورانيتها بخلاف وجوه المؤمنين التي تشع نورا، وهذا ما ذكرته الآية المباركة في قولهِ تعالى : ((يَومَ تَبيَضُّ وُجُوهُ وَتَسوَدُّ وُجُوهُ فَأمَّا الَّذِينَ اسوَدَّت وُجُوهُهُم أكفَرتُم بَعدَ إيمَانِكُم فَذُوقُوا العَذابَ بِمَا كُنتُم تَكفُرونَ))[آل عمران /١٠٦]وتلك حال الكافرين في يوم القيامة،تظهر-أيضا- مرّة أخرى في قولهِ تعالى: ((ويَومَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذبُواعَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسوَدَّةُ ألَيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثوًى لِّلمُتكَبِرينَ)) [الزمر/٦٠]. وسلب النور من الوجوه ـ هنا ـ يعدُّ مرحلة من مراحل العَذاب ، ويؤدىبـهِ على نحوغيرمباشر بوساطة الألوان الثانوية في قولهِ تعالى: ((ٔأنَّمَا أُغشِيَت وُجُوهُهُم قِطَعاً مِنَ الليلِ مُظلِماً أُولئِكَ أصحَابُ النَّارِ هُم فيهَا خَالِدُونَ))[يونس/٢٧].

وإذا كان اقتران الوجوهَ بلفظة ((اسودّت)) أو ((مسودّة)) يتفق مع الاقتصاد الأسلوبي ، بوصف ((الاقتصاد نوع من تكثيف الكلام واختزاله دون إخلال))^(٢٢) فإنّه في الآية المباركة أدى غرضه على أتم وجه، فقدم دلالات مفعمة بالأيحاءات ، ومشاهد فاعلة عن طريق التشبيه ، تعزز من فاعلية النص، ((فالنص هنا يمثل الكفاية اللغويّة التي يولّد القارئ بوساطتها نصوص الدلالة إلى ما لانهاية)).^(٢٣) ففي النص القرآني الكريم ، توظيف للأسود عن طريق لفظة ((الليل)) وهو نهج غير مباشر ، إذ إنّ الليل يدلُّ على الزمان ، واللّون ، وهنا أُرِيدَ بهِ

الدلالة اللونية ((الأسود)) ، وعزز بقولهِ تعالى : ((مُظلِما))، وسلب النور جعل الوجوه مسودّة يوم القيامة ، كذلك الأمر في الحياة الدنيا ،فقد جاء في قوله تعالى: ((وَإذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنــثَى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا وَهُوَ كَظِيمُ))[النحل/٥٨]. وقولهِ تعالى: ((وَإذا بُشِرَأَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحمَنِ مَثلاً ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ُ))[الزُخرُف /١٧].

فإنّ حال الكافرين والمنافقين تبدو واضحة للعيان ، بما يظهر على وجوههم من سَلْب للنور ، فصورة المنافق يلتمسُ فيها الغم والحزن ، مع أنّه يسعى لكظم حُزنهِ ، والسواد ـ هنا ـ ليس على الحقيقة، إنّما هو كناية عن كل ما تقدم .(٢٤)

ومن الألوان التي أُديَ بها في القرآن الكريم ، اللون الأخضر ، إذ وُظِفَ في ثمانية مواضع ، وجاء بصيغٍ شتى ، هي : ((خَضِرا ، وخُضر ، والأخضَر ، ومُخضرّة ، وخُضرا)). تتوزع في موضوعين ، يختصان بحياتي الدنيا والأخرة ، فاللون الأخضر في الحياة الدنيا أُشير به إلى الزرع ، أمّا اللون الأخضر في الآخرة فأشير به إلى لون الثياب في الجنة .

ففيما لـه عَلاقة بالأخضر في الحياة الدنيا ، فـإنّـه ، يُراد به الزرع ، وبيان قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ في بث الحياة في مخلوقاتهِ ، فقد قال الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ:

١) ((وَهُوَالَّذِي أَنزَ لَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء ً فَأَخرَجنَا بِه ِنبَاتَ كُلِّ شىءٍ فَأَخرَجنَا مِنهُ خَضِراً)) [الأنعام / ٩٩].
٢) ((وَ سَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرَ يَابِسَتٍ)) [يوسف/٤٣] [يوسف/٤٦].
٣) ((الَّذِي جَــعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخضَرِ نَاراً فَإذا أَنتُم مِّنهُ تُوقِدُونَ))[يس/٨٠].
٤) ((أَلَم تَـرَ أَ نَّ اللَّهَ أَنزَ لَ مِّنَ السَّماءِ مَاء ًفَتُصبِحُ الأَرضُ مُخضَرَّ ّةً)) [الحج/٦٣].

وعلى هذا ، فإنّ الدراسات اللونية والسايكلوجية ، اتخذته عنصرا ً من عناصر الحياة، وثمة مزية توافرت فيه ، لم تتوافر في الألوان الأخرى ، في أنّه ينسجم مع الألوان جميعا ً ، ولا يتنافر معها ، مما يحقق الأتساق في الصور التي يكون له نصيب من الحضور فيها ، وخاصية الأتساق تلك تنهض بالجمال (٢٥)،وتصيّرمنه اداةً فاعلةً من أدوات التشكيل، وهذا الجانب يبدو - على نحو كبير- في اللون الأخضر الموظف في الجنة ، فهو أداة من أدواتها ، عندما اقترن بالثياب ، ففي قولهِ تعالى :

((عَالِيَهُم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضرٌ ُ وإستَبرقٌ ُ)) [الانسان/٢١].

أئتلف حَشدُ من الصور الجماليّة في الجنة،وردت في سورةالانسان الكريمة كانت في قولهِ تعالى: ((إنَّ الأبرَارَ يَشربُونَ مِن كَأسٍ كَانَ مِزاجُهَا كَافُوراً))[الانسان/٥] وفي قول الحقِّ تعالى: ((وَ لَقَّاهُم نَضرَ ةً وَسُروراً)) [الانسان/١١]. وتستمر آلاء الخالق -سبحانه وتعالى -على المؤمنين من الآية (١١) إلى الآية (٢١) في قولهِ تعالى :((عَالِيَهُم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضرٌ ُ وَإستَبرقٌ ُ وَحُلَّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَةٍ وَسَقَاهُم رَبُّــهُم شَرَا بًا طَهُوراً)) [الانسان/٢١].

فاللون الأخضر ،بدا على نحوواضح في ثياب السندس،ثياب الحريرالرقيقة(٢٦) ،وهوشأنه في ذلك شأن المعطيات الأخرى للجنهَ،جنةالذين((يُوفُونَ بِالنَّذرِ و يَخَافُونَ يَوماً كَانَ شَرَّ ّهُ مُستَطِيراً □ وَ يُطعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيَراً)) [الأنسان/٧ـ٨]وهذهِ الجنة تختلف عن مُعطيات جنات عَدْنٍ في قولـهِ تعالى : ((أُولئِكَ لَهُم جَنَّاتُ عَدنٍ تَجرِي مِن تَحتَهِمُ الأَنهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيلبَسُونَ ثِيَاباً خُضراًمِن سُندُسٍ وَإستَبَرق ٍمُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعمَ الثَّوابُ وَحَسُنَت مُرتَفَقًا))[الكهف/٣١].
وهذا الاختلاف سرى على مضامين الآيتين الكريمتين :-

سورة الانسان / الآية (٢١)	سورة الكهف / الآية (٣١)
((عَالِيَهُم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضرٌ ُ وَإستَبرقٌ ُ))	((وَيلبَسُونَ ثِيَاباً خُضراً مِن سُندُسٍ وَإستَبرَقٍ))
((وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَةٍّ))	((يُحلَّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذهَــبٍ))

فالتغيير في كل جنّة ،وجّه إلى أنْ يكون ثمة اختلاف بينهما .وظهر في (عَالِيَهُم –

يَلبَسُون)، (ثِيَابُ سُندُس ٍخُضر- ثياباً خُضراً من سُندسٍ)،(حُلوا- يُحَلون)،(أساورَمن فِضَةٍ- أساورَمِن ذهَبٍ) ، وعلاوة على ذلك ،فإنّ اللون الأخضر،جاء في سورة الانسان في معرض التفصيل (ذِكر آلاء الخالق سبحانه وتعالى في الجنة)، وجاء مجملاً في سورة الكهف ، كذلك الحال في قولهِ تعالى :

((مُتَّكئِينَ عَلَى رَ فرَفٍ خُضرٍ وَعَبقريٍّ حِسَانٍ)) [الرحمن/٧٦]. فإنّ آلاءَ الله في الجنة يتمّ التفصيل فيها ، ويظهر اللون الأخضر وصفاً للرياض ، إذا كان ثمة حضورللدلالة اللونية في الجنة ، وهذا يبدو ـ أيضاً ـ في قولهِ تعالى : ((وَ مِن دُونِهِمَا جَنتَّانِ □ فَبِأَى آلاءِ رَ بِّكُمَا تُكَذِبَانِ □ مُدهَامَّتَانِ)) [الرحمن٦٢-٦٤].

إذ جاء الأداء باللون الأخضربوساطة ((مُدْهامَّتان)) وهي من الألوان الثانوية و((الدُّهمة ُ)) هنا، وصفُ للجنتين ، في اشارة إلى أزليتهما وداوم الحياة فيها، وكثافة موجوداتهما، وتعني الدُّهمة في اللغةِ السواد(٢٧)، وثمة علاقة بين الأخضر والأسود فـ ((الخضرةُ متى اشتدت صارت سواداً)) (٢٨) ، من أجل ذلك قيل للعراق أرض السواد ، بسبب كثرة نخيله، إذ إنّ مجال الرؤية من مكان بعيد يصيّر الأخضرَ أسودا ، وقد عدّ العربُ الأخضر من الأضداد ، فهو يعني : الأخضرَ،والأسودَ(٢٩).

أمّا الجنتان المُدهامَّتان في النص القرآني الكريم ، فإنهما شديدتا الخضرة ،وعُبـِرعنهما بألوانٍ ثانوية ، وهذا السبيل لا يقلل من شأنهما ، بل زيادة في اِثبات الحياة واللون لهما ، فزرعُ الحياة الدنيا ، وظفت له من الألوان الأساسية ((الأخضَر)) وصيغهِ ((خَضِرا ، وخُضْر ، ومُخْضَرّة)) وقد يمسي هذا الأخضرُ أصفرا ، في حين أنّ الأخضر في الجنة يمسي دائم الخضرة ،سرمدي ،لا يتغير،فأُدي بهِ ، بقولهِ تعالى : ((مُدهَامَّتَانِ)) [الرحمن/٦٥]، وهذا يتسق مع ما وردَ في سورة الرحمن المباركة في ذكرمعطيات الجنتين من (الأفنان، والعينان اللتان تجريان ، وزوجان من كل فاكهة،والفُرش التي كانت بطائِنها من الإستبرق ،وقاصرات الطرف اللواتي يُشَبَهْنَ بالياقوت والمرجان)،وغيرها من آلاءالرحمن،تلك المعطيات أحيطت بفضاءات شديدة الخضرة،تنبض بالحياة،ظهرت في قولِ الحقِّ - تعالى -: ((مُدهَامَّتَانِ))[الرحمن/ ٦٥].

ومن الألوان التي وظفت في القرآن الكريم ، اللون الأصفر ،وكان الأداء به في خمسة مواضع، وجاء بصيغ مختلفة، هي: ((صفراء، وصُفر،ومُصفرّاً) فهويُعدُّ عنصراً جماليّاً عندما يَردُ بصيغة ((صَفراء)) في قولهِ تعالى :

((قالُواادعُ لنَا رَبَّكَ يُبـيِّن لَنَا مَا لونُهَا قالَ إنَّهُ يَقُولُ إنَّهَا بَقَرةٌ صَفرَاءُ فَاقِعُ ُ لَونُهَا تَسُرُّالنَّاظِرِينَ))[البقرة /٦٩].

إذ إنّ اللونَ الأصفر في الآية المباركة مِفصَلُ رئيس من مفاصل النص ، لأنه كان مطلباً في تحديد لون البقرة ، فكانت صفراء ، وهذا اللون عُزز بالفاقِع ليدلَّ على صفاء الأصفر ، فالفقعُ في اللغة ((مَصدرٌ فقعَ اللونُ فقعاً وفقوعا: إذا خَلُصت صفرتهُ))(٣٠) – وهو هنا عنصرُ من عناصر الجَمال ، بدا في قولهِ تعالى : ((تَسُرُّ النَّاظِرِينَ))[البقرة/٦٩] أي تعجبهم بلونِها وشدّة صفائه.

ومع أنّ عدداًمن العلماء يَرَون أنّ قولهُ تعالى:((بَقَرةٌ ُ صَفْرَاءُ)) [البقرة/٦٩] بمعنى سوداء، ولعلّ هذا الأمر يرجع إلى أنّ العربَ يعدّونه من الأضداد ،فالأصفرعندهم يعني :الأصفر، والأسود(٣١). ولا يمكن الركون إلى التفسير أعلاه ، في أنّ البقرة سوداء ، وليست صفراء ، لأنّ لفظة ((فاقِع)) توظف لبيان درجة الأصفر ،وليس الأسود .أوبصيغة أخرى،هي صفة من صفات الأصفر ، وعلى هذا يكون قول الحقّ ـ تبارك وتعالى -: ((إنَّهَا تَرمِي بِشَرَرٍكَالقَصرِ □ كأنَّهُ جمِمَالَةٌ صُفرٌ ُ)) [المرسلات/٣٢-٣٣].بيدَ أنّ الأصفر ، هنا، فقد دلالته الجمّالية ، عندما وردَ بصيغة ((صُفر)) في موضع الترهيب من عذاب الله ، فالنيران بشررها تشبه الجِمال في شكلها من جهة تموّج حركتها ،وفي لونها ، وقيل أنّ الجِمال الصُفر بمعنى : السود ؛ وإنّما قيل لها صُفر وهي سود ؛لأنّ ألوان الإبل السود تَضربُ إلى الصفرة(٣٢).

وكان للزرع نصيبُ من الأداء بالأصفر،عندما وردَ بصيغة ((مُصْفرّاً)) في قولهِ تعالى:

((وَلَئِن أرسَلنَارِيحاً فَرَأوهُ مُصفَرَّاَ لَظَلُّوا مِن بَعدِهِ يَكفُرونَ))[الروم/٥١].فالخالق سبحانه وتعالى ، يبِّين دلائل قدرته في تحويل الزرع إلى اللون الأصفر،عندما يرسلُ ريحا ً مُفسِدة للنبات والزرع، ومَع كلّ ذلك ، فإنّ الكافرين يبقون سادرين في غيّهم وعنادهم(٣٣)، والأصفر- هنا - يومِئ إلى انطفاء جذوة الحياة بخلاف اللون الأخضر رمز الحياة والديمومة ،وتلك الدلالة،تظهر-أيضا- في قولهِ تعالى:((اعلَمُوَا أنّمَاالحَيَاةُ الدُّنيَا لَعِبُ ُ وَ لَهوُ ُ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرُ بَينَكُم وَ تَكَاثُرُ ُ في الأموَالِ وَالأولادِ كَمَثَلِ غَيثٍ أعجَبَ الكُفَّارَ نبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَترَاهُ مُصفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً))[الحديد/٢٠].

فإنّهُ يأتي بصيغة ((مُصْفرّاَ)) وداخلا ً ضمن التشبيه في إشارة إلى سُنةِ الله في خلقهِ ،فكان مَعْلما ً من معالم انطفاء جذوة الحياة التي تنتهي بقولهِ تعالى :((ثم يكونُ حُطَاما ً)). فثمة تضادّ خفي في الآية المباركة بين الحياة من جهةٍ بألوانِها كافة ،وبين الأصفر الذي يكون حاضرا ً في الزرع عندما يصل الى آخر مراحله ،فيكون ((مُصفرًّا))ويظهرهذاالأمرعلى نحوبيّن في قول الحق ـ تبارك وتعالى -:((ألم تَرَ أنّ َاللّهَ أنزَ لَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَسَلَكَهُ يَنَابيعَ فِي الأرضِ ثُم َّيخرُج بِه زَرعاَمُختَلِفاَ ألوانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَترَاهُ مُصفَرًّا ثُمَّ يجعَلُهُ حُطَاماًإنَّ فِي ذلِكَ لَذِكرَى لأولِي الألبَابِ))[الزمر/٢١].

فإنّ دائرة الألوان المتعددة،وهي ترمز إلى ألوان النبات والزرع ،تبدأ بالمختلف في قولهِ تعالى : ((زَرعاَ مُختَلِفاَ ألوَانُهُ))وتنتهي بلون واحد،هوالأصفر في قولهِ تعالى:((فَترَاهُ مُصْفَرّا ً))، لنَصِلَ بوساطة الألوان وتعددها إلى التضاد بين ألوان الزروع ،وهي تومِئ إلى الحياة وبين اللون الأصفر ((مُصْفَرّا ً)) وهو يومِئ إلى الموت . ذلكم التعدد اللوني ، يُصرَّحُ بهِ قولهِ تعالى: ((أ لَم تَرَ أنّ َاللّهَ أنزَ لَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَأخرَجنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّختَلِفاَ ألوانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدُ بِيضُ وَحمُرُ ُ مُّختَلِفُ ُ ألوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سودُ))[فاطر/٢٧].

فكان اللون الأحمرفي أثنائهِ، وأُدِي بهِ في القرآن الكريم لمرّة واحدة لاغير بصيغةِ ((حُمْرُ)) ضمن الألوان الأساسية، وأريد به وصف لعظمة الخالق وقدرته،وثمة ألوان ثلاثة بارزة في الآية المباركة هي:الأبيض، والأحمر، والأسود، ويرىابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) أنّها جاءت ((لبيان الوصف بها ... لمّا كانت هذهِ الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة ، فالطرف الأعلى في الظهور البياض ، والطرف الأسفل في الخفاء السواد ، والأحمر بينهما على حكم وضع الألوان في التركيب ، كانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذهِ الألوان الثلاثة))(٣٤).

إذ أنّ ابن أبي الأصبع يرى أنّ ألوان الجبال جاءت بحسب مجال رؤيتها ووجودها في التركيب ، في حين أن من المفسرين مَن يرى أنّ الأمر يرجع إلى اختلاف ألوان الصخور أو الجو المحيط بها ، أو بسبب اختلاف النبات الذي ينمو علها(٣٥). وأيّا ً كان السبب في ذكرِ تلك الألوان الثلاثة ، فإنّ النص القرآني الكريم يقدم للمتلقي صورة ملوّنة ، تبرز فيها ألوان الجبال البيض ، والحمُر ، فضلا ً عن السود التي سبقت دلالتها اللونية بـ(غِرِبيب) وهي درجة شديدة من درجات السواد ، ومعروف عن العرب أنهم يقولون : أسود غربيب(٣٦). وهذا التعدد اللوني التفت إليه علماء البلاغة ، وأطلقوا عليه (التدبيج) الذي يراد به ذكرألوان ((يقصدُ الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح أووصفٍ أو نسيبٍ ،أو هجاء،أوغيرذلك من الفنون))(٣٧). وقدجاءت الألوان في الآية المباركة في موضع وصفٍ للجبال، فكانت أشبه بالديباج في النص القرآني الكريم .

ومن الجديربالذكر إنّ ألوان الجبال حاضرةُ،وإنْ لم يُصرَح بها ،ففي قولِ الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ: ((وَ تَكُونُ الجِبَالَ كالعِهنِ))[المعارج/٩].وقولهِ تعالى:((وَ تَكُونُ الجِبَال كَالعِهنِ المَنفُوشِ))[القارعة/٥].

تَردُ لفظة ((الجبال)) وتشبّه بالعِهن ، ويمكن النظر إلى ذلك من جهتين :

الأوُلى : أنّ الجبالَ تشبه العِهن ، أي أنها ((كالصّوفِ في هشهِ وانتفاشهِ))(٣٨). فالجبال تمسي هشة واهية ضعيفة ، لا تقوم لها قائمة من أهوال يوم القيامة .

أمّا الجهة الأخرى : فإنّه يُراد تشبيه الجبال بالعِهن من ناحية اللون ، إذ ثمة صلة لونية بينهما ، فاللون حاضرُ في الجبال بحسب ما جاء في قولهِ تعالى : ((وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدُ ُ بِيضُ ُ وَحمُرُ ُ مُّختَلِفُ أَلوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودُ ُ)) [فاطر/٢٧]. أمّا العِهْنُ ، فإنّه ((الصوف ذوألوان مختلفة،إشارة إلى تلاشي الجبال على اختلافِ ألوانها ، بزلزلة الساعة))(٣٩).

وإذا كان اللون الأحمر بلفظهِ الأساس ، لم يؤدَ بهِ في القرآن الكريم إلاّ لمرة واحدة لا غير ، فإنّه وظُف بالألوان الثانوية في أكثرِ من موضعٍ ، منها في قولهِ تعالى : ((فَإذاانشَقَّت ِالسَّماءُ فَكَانَت وَردَةً كَالدِهَان))[الرحمن/٣٧].فإنّ الدلالة اللونية يآزرها الشكل،أي اللون والشكل معاً ،شكلافضاءًمن فضاءات الصورة،وكانامطلبا ًمن مطالبِ الآية المباركة عن طريق قولهِ تعالى:((فَكانَت وَردةً كالدِهَان))فالسماءكان لونهاأحمراًأووردا(٤٠)،ولم يكن هذا السبيل من ضمن معطيات قولِه تعالى:((إذاالسَّماءُ انشَقَّت □ وَأَذِنَت لِرَبِّهَا وَحُقَت) [الأنشقاق/١-٢]. أو قولهِ تعالى: ((إذا السَّماء ُانفَطَرَت □ وإذاالكَوا كِبُ انتَثَرَت))[الانفطار/١-٢].

فليس ثمةإشارةإلى لون السماء في هذين النصين الكريمين ،بخلاف النص القرآني الكريم السابق.

ويظهرالأداءُ بالأحمر بالألوان الثانوية في قوله تعالى: ((فَلا أُقسِمُ بِالشَّـفَقِ))[الانشقاق/١٦]. بوساطة لفظة(الشفق) وهي لفظة من ألفاظ الزمان،بيدَ أنّ اللون الأحمر أنجِزَ بتلك اللفظة، فالشفقُ يرادُ به الحُمْرةُ في الأفُقِ من ناحية المغرب من الشّمس(٤١). وقدأقسم الخالق - سبحانه وتعالى - بتلك الهيئةالمرئيةالمخصوصة بعينها، وكان شأنها في ذلك شأن المقسم بهِ في آياتٍ أ ُخر، وهنا ((يمكن النظر إلى القرآن بأنّهُ دالّ يتضمّن دلالات ثلاثة : دلالة الكلام على منشِئِهِ ، ودلالة الكلام على ذاتهِ ، ودلالة الكلام على متلقيه))(٤٢). فجاء الأداء في تلك الآية الكريمة محققا ً للدلالات الثلاث ، فدلالة الكلام على مُنشِئهِ ، وهو الخالق - جلّت قدرته - الذي أبدع خَلْقا ً في صُنعِه لصورة الشفق، وأمَّا دلالة الكلام على ذاته عندما ،صِيغَ بتلك الصياغات المعجزة ،فجاء في معرض القسم، وصيّرت منه قرآنا ً وليس أمراًآخر ،فاتفق الخَلقُ والصِّياغة. أمَّا دلالة الكلام على متلقيه فإنّها تومئ إلى الذي تتجه الرسالة تلقاءَهُ بكل معطياتها وأدواتِها الحاضرة في أنماط الحياة والوجود في كلّ زمانٍ ومكان .

ومن الألوان التي أ ُديَ بها في القرآن الكريم، اللون الأزرق، وكان في موضع واحدٍ، إذجاء بلفظهِ الأساس ِفي قولِ ِالحقِّ تعالى: ((يَومَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنحَشُرُالمجرِمينَ يَومَئذٍ زُرقاً)) [طه/١٠٢].

فاللون جاء بصيغةِ ((زُرْقا ً)) وهوهنا يشير إلى حال الكافرين يوم القيامة في أنّهم سُلِبوا نعمة الحياة،وأمسوا زُرقا ًمن هول المطلع،وروعات َالمفْزع(٤٣)، والأداء بهِ يتسق مع نهج العرب في عدِّهم الرزقة من العيوب،بحسب مايرى الثعالبي (ت٤٢٩هـ)في قولهِ : ((وكذلك العيوب تكونُ على (أفعَل) نحو : أزرَق...))(٤٤). ودلالته تلك غير الأثيرة في النفوس ، تقترب من اللون الأسود في قولِ الحقّ - تبارك وتعالى-: ((وَيَومَ القِيَامَةِ تَرى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسوَدَّةُ أَليسَ فِي جَهنَّم مَثوَى لِلمُتكَبِرينَ))[الزمر/٦٠].

وأنّهم سُلِبوا النورالحاضرفي المؤمنين في قولهِ تعالى: ((يَومَ يَقُولُ الُمنَافِقُونَ وَالُمنَافِقَاتِ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرُونَا نَـقتَبِس مِن نُّورِكُم قِيلَ ارجِعُوا وَراءَكُم فَالتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَـينَـهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابُ ُ بَاطِنَه ُ الرَّحمَةٌ وَظَاهِرُه مِن قِبَلَهُ العَذابُ)) [الحديد/١٣].

من أجل ذلك ، يمكن القول بوجود ثمة صلة بين الأزرق من جهةٍ ، والأسود من جهةٍ أخرى، اعتمادا ًعلى التقارب اللوني بينهما ، وتوظيف التأويل في استكناه النص لقرآني وعلاقته مع النصوص القرآنية الكريمة الأخرى ((ويظلَّ تأويلُ كلّ نصّ ٍ بما هو نصّ مُقترنا ً - بدءا ً من لغتهِ وانتهاءً بتفتّح هذهِ اللغة في العالم وانفتاحِها عليه - بتفسير اكتمالهِ وعُلّوهِ والوقوع على مناطِ أسرارهِ))(٤٥)، وهذا السبيل يُلمح في قولهِ تعالى : ((يُعرَفُ الُمجرِمُونَ بِسيمَاهُم فَـيُؤخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقدَامِ))[الرحمن/٤١].

فالأزرق مع أنّه لم يَرِد في النص القرآني الكريم ،على نحو صريح،فإنَّ ثمة حضوراً

له،فبوساطة الرجوع إلى (سورة طه / الآية١٠٢) يتبيّن أنَّ المُجرمين يُعرَفُون بسيماهم ((باسوِدَادِ وجوهم ، وزُرقةِ عيونِهم))(٤٦). من أجل ذلك ، فإنّ الأداء بالأزرق كان مختلفاً عن الأداء بالألوان الأخرى ، فهو غير محبّب لدى النفوس ، ويقترب في هذا من بعض توظيفات الأسود .

مما تقدّم يمكن الإشارة إلى أنّ اللون كان له حضور فاعِل في آيات القرآن الكريم ،وفضاءً من فضاءاتها الرحبة ،فكان أداة من أدوات الأعجاز القرآني ، ووظف توظيفاً جماليّاً يتسق مع المعطيات الجماليّة الأخرى،إنْ كان حقيقة أو مجازاً،وأنَّ الأداء بالألوان الأساسية ، كان متنوعاً.

فجاء اللون الأبيض في مقدمتها ، إذ أُدي بهِ في أحد عَشَرَ موضعاً في القرآن الكريم، وأشار البحث إلى وجود ثمة صلة بين الأبيض من جهة، والضوء والنور من جهةٍ أخرى .

ويأتي اللون الأخضر في المرتبة الثانية ، إذ أُدي بهِ في ثمانية مواضع ، تتوزع على الزرع في الحياة الدنيا ، والثياب في الآخرة .

أمَّا اللون الأسود ،فيحلُّ في المرتبة الثالثة ، عندما جاء الأداء بهِ في سبعة مواضع ، خمسة منها يقترن بالوجوه وحالها في حياتي الدنيا والآخرة ، و أمسى عنصراً من عناصر التضاد اللوني مع اللون الأبيض .

ويأتي اللون الأصفر ، في المرتبة الرابعة ، إذ يؤدى بهِ في خمسة مواضع ، فكان عنصراً من عناصر الجمال ، ورمزاً من رموز اندثار الحياة وانطفاء جذوتها .

أمَّا اللونين الأحمر ،والأزرق ، فيحلاّن أخيراً ، إذ كان الأداءُ بكل واحدٍ منهما ، لمرةٍ واحدةٍ لا غير ، وجاءا بصيغةِ : ((حُمْر)) و ((زُرْقا)) ضمن الألوان الأساسية.

الهوامش :

١) ينظر:المخصص:١٠٣/٢ ،وأساس البلاغة : (مادة:لون) ، ولسان العرب :(مادة:لون).
٢) سايكولوجية : إدراك اللون والشكل :١١٣.
٣) ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية :٤٩٥/١.
٤) ينظر : دلالة الألوان في الشعر العباسي في القرن الثالث ـ رسالة ماجستير ـ: ٩،٤٥.
٥) علم الدلالة : ٨٦.
٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : (مادة : لون).
٧) سرور النفس ومفرحها ـ مخطوط ـ : ٦-٧. نقلاً عن : روائع من التراث العربي:٣٥.
٨) كتاب الصناعتين: ٢٦٨ ، وينظر: دلالة الألوان في الشعر العباسي في القرن الثالث - رسالة ماجستير- :١٣٠.
٩) علم النصّ: ٤٧.
١٠) الحيوان : ٥٦/٥.
١١) يُنظر: الضوء :٧ ، ومبادئ الرسم : ٦٦ ، ويرى العلماء أنّ اللون هو الأشعة الناتجة عن تحليل الضوء.
١٢) النصّ القرآني من الجملة إلى العالم : ٢٩.
١٣) ينظر : مختصر تفسير الطبري : ١٩ ، وإملاء مامنّ به الرحمن: ٦٦/١ ،والتفسير المبين :٢٧ ، وجاء في مجمع البيان في تفسير القرآن :٢١٣/١. ((وقيل سمي الدين صبغة ، لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة)).
١٤) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٦٤/٨. ويقول الطبرسي : ((من معين: أي من خمر جارية في أنهار ظاهرة العيون)). وينظر : إملاء ما منّ بهِ الرحمن:٢٠٦/١.
١٥) القرآن وعلم القراءة – مقدمة المترجم - : ١٩.
١٦) ينظر : مختصر تفسير الطبري: ٣٠٨ ، وتفسير التحرير والتنوير : ١٢٤/١٩، والتفسير المبين : ٢١٠.

١٧) ينظر: مختصر تفسير الطبري : ٣٢٨ ، وتفسير التحرير والتنوير :١٢٤/١٩. ويرى فخر الدين الرازي أن يد نبي الله موسى – عليه السلام – أمست بيضاء بفضل كلمة ((لا إله إلاّ الله)) ينظر : عجائب القرآن : ٣٦.

١٨) الرسم واللون : ١٧١.

١٩) الحيوان : ٥٦/٥.

٢٠) المخصص:١٠٧/٢.

٢١) ينظر :مجمع البيان في تفسيرالقرآن:١٥/٢ ، مختصر تفسير الطبري : ٢٦ ،والتفسير المبين : ٣٦.

٢٢) النص القرآني مِن الجملة إلى العالم : ٣٢.

٢٣) القرآن وعلم القراءة - مقدمة المترجم - : ١٩.

٢٤) ينظر : مختصر تفسير الطبري :٢٢٨. والتفسير المبين :٣٥٢.

٢٥) ينظر: الرسم واللون :١٧٣. والفن والجمال :٢١.

٢٦) ينظر: مجمع البيان في تفسيرالقرآن: ١٠ /١١٩-١٢٠ ،و مختصر تفسير الطبري: ٤٩٦.

٢٧) ينظر :مُبادئ اللغة: ١٢٠.

٢٨) الحيوان: ٥٨/٥.

٢٩) يُنظر: ثلاثة كتب في الأضداد: ٢٨٨.

٣٠) المثلث: ٣٣٠/٢.

٣١) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد: ١٠٢. ولسان العرب: مادة : صفر.

٣٢) ينظر : مجمع البيان في تفسيرالقرآن: ١٠ /١٢٩ ،و مختصر تفسير الطبري:٤٩٨.

٣٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤١.

٣٤) تحرير التحبير:٥٣٢/٤.

٣٥) ينظر:منّة المنّان في الدفاع عن القرآن: ٢٦٣.

٣٦) ينظر: المخصص: ١٠٦/٢.

٣٧) تحرير التحبير: ٥٣٢/٤.

٣٨) التفسير المبين : ٧٦٥ ،و ينظر : مجمع البيان في تفسيرالقرآن: ١٠ / ٦٧ .

٣٩) منّة المنّان في الدفاع عن القرآن: ٢٦٣.وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم :٦١٥.

٤٠) ينظر : مجمع البيان في تفسيرالقرآن: ٩ / ١٨٥ ،و مختصر تفسير الطبري: ٤٥١.

٤١) ينظر: مختصر تفسير الطبري :٥٠٧ ،ولسان العرب:(مادة:شفق).

٤٢) القرآن وعلم القراءة - مقدمة المترجم - :٢١.

٤٣) ينظر: التفسير المبين : ٤١٦.

٤٤) فقه اللغة وسرّ العربية :٣٤٢.

٤٥) النص القرآني من الجملة إلى العالم : ٢٩.

٤٦) مختصرتفسير الطبري :٤٥١ ،و ينظر: مجمع البيان في تفسيرالقرآن: ٩ / ١٨٥ .

المصادر:

ـ القرآن الكريم.

١. أساس البلاغة : الزمخشري ، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ١٩٧٩م .

٢. إملاء مامنّ بهِ الرحمن مِن وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن : العكبري ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله(ت٦١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ،د.ت.

٣. تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع المصري ، عبد العظيم بن عبد الواحد (ت٦٥٤هـ) تحقيق : د.حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الأسلامي ، القاهرة ١٣٨٣هـ .

٤. تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس

١٩٨٤م .

٥. التفسير المبين : محمّد جواد مغنيّة ، ط٢، مؤسسة دار الكتاب الأسلامي ، د.ت.

٦. تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم:سميح عاطف الزين،ط٢ ،دار الكتب اللبناني،بيروت ١٩٨٤ .

٧. ثلاثة كتب في الأضداد : الأصمعي ، والسجستاني ، وابن السكّيت ، نشرها : د.أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت١٩١٢م.

٨. الحيوان : الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر١٩٤٣م.

٩. دلالة الألوان في الشعر العباسي في القرن الثالث الهجري : نوري كاظم امنسف علي ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٩٧م.

١٠. الرسم واللون : محي الدين طالو ، مكتبة أطلس ، دمشق ١٩٦١م.

١١. روائع من التراث العربي : أسامة عانوتي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت١٩٧٨م.

١٢. سايكولوجية إدراك اللون والشكل : قاسم حسين صالح ، دار الرشيد للنشر ، بغداد١٩٨٢م.

١٣. الضوء : محمد محمد فياض وآخرين ، دار المعارف ، مصر،د.ت.

١٤. عجائب القرآن : الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان١٩٨٤م.

١٥. علم الدلالة : أف،آر،بالمر،ترجمة:محمد عبد الحليم الماشطة ، الجامعة المستنصرية ، بغداد١٩٨٥م.

١٦. علم النصّ : جوليا كريسطيفا ، ترجمة : فريد الزاهي ، ط١ ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ، المغرب ١٩٩١م.

١٧. فقه اللغة وسرّ العربية : الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ) تحقيق : مصطفى السقا وآخرين، ط٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر١٩٥٤م.

١٨. الفنّ والجمال:د.علي شلق، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت - لبنان١٩٨٢ م.

١٩. القرآن وعلم القراءة :جاك بيرك،ترجمة : د.منذرعياشي ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ١٩٩٦م.

٢٠. كتاب الصناعتين ـ الكتابة والشعر ـ: لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) تحقيق : د. مفيد قميحة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان١٩٨١م.

٢١. لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د.ت.

٢٢. مبادِئ الرسم : محيي الدين طالو ،ط٢، دار مشق للطباعة والنشر ، دمشق١٩٨٢م.

٢٣. مبادِئ اللغة : الأسكافي ، محمّد بن عبد الله الخطيب (ت٤٢١هـ) دار الكتب العلميّة ط١، بيروت ـ لبنان ١٩٨٥م.

٢٤. المثلث : ابن السيد البطليوسي ،عبد الله بن محمد (ت٤٢١هـ) تحقيق: صلاح مهدي الفرطوسي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد١٩٨٢م.

٢٥. مجمع البيان في تفسير القرآن :الطبرسي ، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ) ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت- لبنان ٢٠٠٨م.

٢٦. مختصر تفسير الطبري :ابن صمادح الأندلسي، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، د.ت.

٢٧. المخصص: ابن سيدة ، علي بن إسماعيل (ت٤٥٨ هـ) دار الفكر ،بيروت ، د.ت.

٢٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ومطابع الشعب، مصر، د.ت.

٢٩. منّة المنّان في الدفاع عن القرآن : السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر ، ط١، طليعة النور، النجف الأشرف – العراق ١٤٢٥هـ.

٣٠. ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية : انستازي وآخرين، ترجمة : د. أحمد زكي صالح ، ط ٤ ، دار المعارف، مصر ١٩٧٥م.

٣١. النص القرآني من الجملة إلى العالم : د. وليد منير، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٧م.

Commuities of color performance in the Holy Quran

Dr. Nuri Kazem Al-Saedi*

*** Baghdad University- the Status of the Arab Scientific heritage alive**

Abstract:

A Quran in the Arabic culture influence was evident Almafp basis and the key to it taken from the culture of the language be construed as a refence in terms of performance and art.

The Holy Quran did not have a knowledge of mankind for his book God is a single language, format and tender as possibli miracle , and of the Prophet Mohammed , peace and credibl evidence that the inability of mank- ind and the Jinn of matched .

The emplment data in the aesthetic of the Quran is very Aitqata with the Quranic text as is the language of the reporting about the goal of the letter as a legal language tends to read the rules and consistency of reporting and the language of those seeking aesthetic synerge language to influence NIB is coupled to the holy texts of other .

The color worthy of carful study, I mean the study, which examines the depth employed in the Holy Quran and create a significant aesthetic and autosuggestibility signs consistent with the other actors and what it might be absorbed and unaware of DGPS as a rich visual pallaihat is for this research has the concept of motion and color in the language and terminology that only the basic and secondary colors and how to employment in the Holy Quran and the aesthetics of performance and content analysis method was reliable in the way research.